obeikandl.com

فلسفة الغزالي

obeikandl.com

هاجم حجة الإسلام، الفلسفة وتناولها بالفحص، والنقد، هاجمها هجوماً عنيفاً مبنياً على الدراسة، والبحث العلمي، وحجة بحجة، كان يؤمن إيماناً بأنه لا يقف على فساد نوع من العلوم من لا يقف على منتهى ذلك العلم حتى يساوي أعمالهم في أصل ذلك العلم، فجد واجتهد في دراستها، ومعرفة حقيقتها، وأغوارها، وحتى اطلع على منتهى علومهم، ورزق الغزالي قدرة عجيبة في تبسيط المسائل العلمية، وإيضاحها فكسر ذلك السياج، ورفع الاحتكار العلمي وألّف كتاب (مقاصد الفلاسفة) الذي يتهم فيه بأنه ساعد على ترويج الإلحاد عند نفر من المسلمين، غير أن الغزالي رد على مذاهب المتفلسفة من المسلمين، ووصفهم بالتقليد لليونان وفند في الوقت نفسه العرفان الإسماعيلي الذي كان مرتبطاً بتلك الفلسفة التي استقاها الفارابي وابن سينا من مصادر شتى، وقد ظن بعضهم أن نقد الغزالي للفلسفة الإشراقية قضى على الفكر الفلسفي لدى المسلمين، لكن نلاحظ أن الغزالي نفسه احتفظ في تفكيره ببعض آثار من فلسفة الفارابي، وابن سيناً[٣٩] فعرض الفلسفة كأحسن ما يعرضها رجال الفلسفة، وفي عمله الثاني بدأ هجومه على الفلسفة، وأخذ ينتقد الفلاسفة ثم قدم تهافت الفلاسفة الذي اتسم بقوة التعبير، وسلامة العبارة، وسهولة الألفاظ، وإن دلّ ذلك، فإنما يدل على أن الغزالي ممتلئ بالإيمان، والثقة بدينه، والاعتداد بتفكيره، كما تهكم ونقد نقداً لاذعاً في أسلوب رائع ليقمع غرور الذي أصيبوا بالنقص وخضعوا للفلاسفة.

(٣٩) دراسات في الفلسفة الإسلامية ـ د.محمود قاسم ـ دار المعارف بمصر ـ ص ١٨

obeikandi.com

كما أن الغزالي أعاد للشريعة الإسلامية هيبتها في النفوس عندما فهم زمانه، وحاجته، فقد أكرمه الله تعالى بالسعادة الروحية، وألف إحياء علوم الدين بعد أن انكشفت له حقائق العلم، ومن روائع الغزالي انتقاده لمن اشتغل بالجزئيات الفقهية، والخلافيات، والكلام، والجدل، وانتقد الصوفية لما فيها الاكتفاء بحفظ أقوال المشايخ، وأخبارهم، ونبه إلى أهمية العلوم كلها من طب، وحساب، وصناعات. وانتقد الزهاد في الدنيا لأنهم زهّدوا في الدنيا الناس، فنعم بها الكافر، وإن الله خلقها للمؤمن، فالزهد من أعمال القلب وهذا فهم رائع للزهد .

فهذا هو الغزالي إذ نجد في تفكيره الفلسفي أي المعقول بعض البراهين الصحيحة التي تدل على عبقرية صحيحة على حد قول الدكتور عمر فروخ في كتابه عبقرية العرب في العلم والفلسفة.

(مع أنني أفضل أن أدعو أبا حامد الغزالي حجة الإسلام وألا أطبق المقاييس الفلسفية الصرفة على مجموع آرائه، فإنني أجد له في بعض آرائه مواقف عبقرية صحيحة فعندما قال (جالينيوس) بأن الشمس لا تقبل الانعدام، ودليله آنذاك، وزعمه على ذلك أن الأرصاد لم تدل على تبدل حرارتها، وحجمها، وقد اعترض الغزالي من وجوه أحدها أن الأرصاد القديمة ليست إلا على التقريب، ثم أن الشمس لعظم حجمها قد تذهب (تخف حرارتها من غير أن يلاحظ الناس ذلك في مدة قصيرة، وقد دلّت التجارب الفلكية على صحة أقوال وآراء الغزالي)[٤٠].

(٤٠) عبقرية العرب في الفلسفة والعلم ـ د.عمر فروخ ـ ص :٤٢

obeikandl.com

يقول الغزالي : أن أبث إليك غاية العلوم، وأسرارها، وغائلة المذاهب، وأغوارها، وأحكي لك ما قاسيته في استخلاص الحق من بين اضطراب الفرق، وما استجرأت عليه من الارتفاع عن حضيض التقليد، إلى يفاع الاستبصار، وما استفدته، أولاً من علم الكلام، وما احتويته، ثانياً من طرق أهل التعليم، القاصرين لدرك الحق على تقليد الإمام، وما ازدريته، ثالثاً من طرق التفلسف، وما ارتضيته، آخراً من طريقة التصوف، وما انجلى لي في تضاعيف تفتيشي عن أقاويل الخلق، من لباب الحق، وما صرفني على نشر العلم ببغداد مع كثرة الطلبة، وما ردَّني إلى معاودتي "نيسابور" بعد طول المدة، فابتدرت لإجابتك إلى مطلبك، بعد الوقوف على صدق رغبتك، وقلت مستعيناً بالله ومتوكلاً عليه، ومستوقفا منه، وملتجئاً إليه: اعلموا ـ أحسن الله تعالى إرشادكم

- إن اختلاف الخلق في الأديان والملل ثم اختلاف الأمة في المذاهب على كثرة الفرق من تباين الطرق، بحر عميق غرق فيه الكثيرون، وما نجا منه إلا الأقلون، وكل فريق يزعم أنه الناجي (كل حزب بما لديهم فرحون)[41] وقال صلى الله عليه وسلم (ستفترق أمتي ثلاثاً وسبعين فرقة، الناجية منها واحدة)[42]

وكذلك قال الفلاسفة اليونانيين، وتابعهم على ما قالوه بعض الإسلاميين، إن السماء عالم الأجرام السماوية حيوان، وإن له نفساً نسبتها إلى بدن السماء كنسبة نفوسنا إلى أبداننا، وكما أن أبداننا

---

(٤١) سورة الروم ـ آية :٣٢. سورة المؤمنون ـ آية ٥٣.

(٤٢) عن أبي هريرة ـ قطعة من حديث رواه أحمد والترمذي .

obeikandl.com

تتحرك بالإرادة نحو أغراضها بتحريك النفس، غير أن الغزالي ينكر ذلك فيهدم بإنكاره هذا عموداً من أعمدة الخرافات التي رفعها العقل اليوناني، وإن الإنصاف ليدعونا في هذا الموقف إلى أن نقول إن الغزالي كان في هذه النقطة أعظم من ابن رشد الذي خطّأ الغزالي في أفكاره، فكان ابن رشد هو المخطئ.

فقد ترجمت مؤلفاته وخاصة إحياء علوم الدين، فأعجب بها الكثير من فلاسفة اليهود والنصارى ويتجلى أثر الغزالي في ثلاثة مظاهر:

أ- نفي السببية[٤٣] أن الأمور تتم بإرادة الله لها لا بالأسباب الظاهرة لنا، فإذا ألقي شيء في النار وكان الله لا يريد له احتراقاً فإنه لا يحترق، وليس بمستغرب أن يتبعه رجال الكنيسة كلهم في ذلك لأن ذلك يفسح المجال لحدوث المعجزات والخوارق، ولقد شابهه أيضاً الفيلسوف الإنكليزي(دافيد هيوم)[٤٤] حينما نسب العلاقة الظاهرة بين السبب والمسبّب عنه إلى التذكر لا إلى الحقيقة فقال: إن تعاقب أمرين لا يوجب أن يكون أحدهما سبباً (حقيقياً) للآخر، إلا أن الغزالي يرد العلة الحقيقية إلى الله بينما هيوم يبحث فيها شيئاً نفسانياً، ويردها إلى التذكر، إننا إذا سمعنا صوتاً فحكمنا بأن صاحبه إنسان، فذلك لأننا

---

(٤٣) عبقرية العرب في العلم والفلسفة د. عمر فروخ ص١٤٢ المكتبة العصرية بيروت ١٩٨٥

(٤٤) دافيد هيوم : (١٧١١- ١٧٧٦م) فيلسوف مثالي إنكليزي،عالم نفس ومؤرخ واقتصادي .مؤلفه الأساسي : رسالة في الطبيعة البشرية .

نذكر أننا سمعنا مرة ما من إنسان مثل هذا الصوت لا لأن بين الصوت وبين صاحبه صلة يدركها العقل.

ب - الشك:[٤٥] ليس القول بالشك في نظرية المعرفة عند الغزالي جديداً فقد سبقه إليه القديس (اغوسطين) ورأى أن فينا حواساً ظاهرة، وحواساً باطنة فوقها، ثم عقلاً فوق هذه جميعاً يحكم في محسوساتها، ولكن العقل الإنساني يجد شيئاً أسمى منه إذ أنه متبدل يدرك تارة ويقصر أخرى ويسعى حيناً إلى المعرفة، على أن الحقيقة ليست متبدلة.

لذلك ينصحك القديس أغوسطين إذا رأيت طبيعتك متغيرة متبدلة بأن ترقى بنفسك إلى المصدر الخالد بنور العقل، أما مصدر الحقائق كلها فهو الحقيقة التي لا تتبدل، فهو الله إننا لا نستطيع أن نتخيل حقيقة أسمى منها لأنها تشمل جميع الوجود الحقيقي.

إلا أن الغزالي يفوق أوغسطين بأن أوغسطين يشك في العقل ثم يحاول أن يعرف بالعقل بينما الغزالي يشك في العقل، ويرى العقل عاجزاً عن أن يبحث عن الصواب، ولذلك لا يقول بالمعرفة عن طريق العقل البتة، بل " بنور يقذفه الله في القلب من غير أن يكون للعقل إرادة "

كما أن ديكارت[٤٦] الذي اشتهر في تاريخ الفلسفة الأوربية بأن وضع أساس البحث قد غفل عن هذا الفرق الدقيق الذي لحظه الغزالي في نظرية الشك. يبدأ ديكارت كما بدأ الغزالي قبله بخمسة قرون،

---

(٤٥) عبقرية العرب في العلم والفلسفة - د. عمر فروخ - ص:١٤٢.

(٤٦) رينيه ديكارت : (١٥٩٦-١٦٥٠م) فيلسوف ورياضي وباحث في الطبيعة (فرنسي) كان من أنصار الثنوية في الفلسفة مؤلفاته الأساسية : مقال في المنهج - مبادئ الفلسفة .

obeikandl.com

ونصف قرن، فيقول لندع الشك يتسرب إلى كل اقتناع، بل إلى كل عقيدة فينا. ولكن لنهاجم شكوكنا واحداً، واحداً، ولنحاول أن نصرفها غير أننا إذ لم نستطيع أن نصرف هذه الشكوك، فإننا بلا ريب نصل إلى حقيقة واحدة، تلك هي أننا نفكر بينما نحن نشك. أو أننا نيام أو يقظى، وإلى أن نشك في جميع العالم المادي الذي حولنا، ولكننا لا نستطيع أن نشك في أننا نشك، وبما أن الشك أقوى دلائل التفكير، فقال ديكارت جملته المشهورة باللاتينية " أنا أفكر، إذاً أنا موجود .

إن ديكارت اضطر أن يعرف، وكان قد أنكر كل شيء قد عرف بشيء مما أنكره ويعود ليعرف به أو سبيلاً للمعرفة، بينما الغزالي الذي أنكر كل شيء قد عرف بشيء خارج عن نفسه بشيء يأتيه فعلاً من علم خارجي مفروض فرضاً صحيحاً ثم يأتي بصورة لا سلطان للعارف عليها. ولقد كان فضل الغزالي على ديكارت في أنه عرف بشيء من خارج العالم الذي شك فيه، أما ديكارت فعرف ببعض ما شك فيه في جملته المشهورة على الأقل.فلا بد أن نشير إلى المرتبة العليا التي رفع بها العقل إليها: إن الإمام الغزالي حجة الإسلام قد صحح إيمانه من طريق العقل، ولم يجد للإيمان التقليدي الموروث قيمة ما، وهذا ما نراه في كتابه " المنقذ من الضلال "لقد كان أثر الغزالي الشخصي في العلم الإلهي، في أوروبة أعظم من أثر القديس توما .

كما يجوز أن نقول إن الفلاسفة في الشرق على حد قول الفلاسفة الغرب ومؤرخي الفلسفة هو التوفيق بين الفلسفة والدين أو التوفيق بين الحكمة والشريعة أو بمعنى آخر بين العقل والنقل .

والواقع أن هذا الخلاف بين الدين والفلسفة حقيقة لا سبيل لإنكارها ، فالدين مخالف للفلسفة وأن الفلسفة غير الدين حتى أن دعوى التوفيق دليل على وجود الخلاف بينهما.

فعلى سبيل المثال لا الحصر بعض مواقف فلاسفة الشرق حول بعض المسائل، فالمعتزله[٤٧] أنكروا رؤية الله يوم القيامة ، وأنكروا النعيم، والشقاء الجسمانيين، وبحثوا بحوثاً عدهم بها علماء الفقه زنادقة وكفاراً ، ثم فضلوا العقل، وحكمهِ على بعض الروايات الدينية ، وقالوا إذا اختلف العقل، والنقل، فاتبع العقل وهذا ما لا يتفق مع الأشعرية الذين عزلوا العقل جملة ، واحدة عن الإيمان، وأرادوا أن ما أتى به المعتزله إنّما هو ضلالات تؤدي بصاحبها إلى النار.

أما الكندي[٤٨] لم يطرق هذه المسائل، وإن كان قد كتب في إثبات النبوة، ثم ننتقل إلى الفارابي[٤٩] فنجده شديد التمسك بالفلسفة

---

(٤٧) المعتزله: أسسها في القرن الثامن الميلادي . واصل ابن عطاء . ذات طابع فلسفي صحيح في الإسلام حاولت أن تعطي تفسيرات عقلانية للحقائق الدينية ؟طبيعة الله . صفاته.... / الإسلام والعرب . وان مذهب المعتزلة :هي الأصول الأربعة التالية :التوحيد ـ العدل ـ الوعد والوعيد ـ المنزلة بين المنزلتين ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ـ وكانوا يستدلون على العقائد والقضايا العقلية بالعقل، وكانت ثقتهم بالعقل لا يحدها الا الشرع .(تاريخ المذاهب الإسلامية ـ دار الفكر العربي ـ محمد أبو زهرة ـ ص١٥٠ـ١٥٣)

(٤٨) الكندي: يعقوب بن إسحاق بن الصباح ولد حوالي ١٨٥ هـ في الكوفة . فيلسوف العرب والمسلمين في عصره. اشتهر بالطب والفلسفة والهندسة والفلك /الإسلام والعرب . روم لاند ص٢٢٥/ .

سيء الاعتقاد في النبوة منكراً للخلود الديني. فقد يحاول أن يوفق بين فلسفة أفلاطون[٥٠] وفلسفة أرسطو[٥١] وأنه قال "إن الدين والفلسفة شيء واحد أو أنهما متفقان"

أما أخوان الصفا[٥٢] فهم الذين زعموا أن الشريعة العربية ناقصة، وإن الكمال يحصل لها إذا تطهرت بالحكمة اليونانية، وامتزجت بها.

وإن ابن سينا[٥٣] قد تبع الفارابي في آرائه الفلسفية في تفسير المعاد (القيامة والحشر) فقد كفر الغزالي للفارابي، وابن سينا لبعض أفكارهما وآرائهما الفلسفية.

ولا نجد أن الغزالي بع أن اعترف بأن العقل يجب أن يسيطر على جميع أعمال الإنسان حتى في بعض المسائل الدينية، والإيمان بها، فأراد من العامة أن يتركوا الفلسفة لأنها مفسدة للدين واعتبرها مفسدة المفاسد.

---

(٤٩)) الفارابي: محمد بن محمد طر خان بن اوزلغ أبو نصر الفارابي . ويعرف بالمعلم الثاني . أكبر فلاسفة المسلمين ولد في فاراب / من مؤلفاته الفلسفية المدينة الفاضلة /.

(٥٠) أفلاطون : (٤٢٧-٣١٧ق.م) فيلسوف يوناني من رواد المثالية الموضوعية، له محاورات فلسفية عديدة أهمها :طيماوس و بارمنيدس و السفسطائي والمائدة-(المعجم الفلسفي المختصر صـ٥٥١)

(٥١)) ارسطو : (٣٨٤-٣٢٢ق .م) فيلسوف يوناني كادت مؤلفاته تشتمل على كل معارف عصره، تأرجح في الفلسفةبين المادية والمثالية . مؤلفاته الأساسية "الأرغانون "و"الميتافيزيقيا" و"ما بعد الطبيعة "و"السياسة "(المعجم الفلسفي المختصر - ص٥٥١)

(٥٢) أخوان الصفا: حركة دينية فلسفية في البصرة ذات أهداف سياسية هدفت إلى إيجاد صيغة تركيبية توفق بين المعتقدات الشيعية والفلسفة الارسطاليسية . كان لأخوان الصفا تأثير على تفكير الغزالي

(٥٣) ابن سينا: هو الرئيس أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا . اشتغل بالعلوم الطبيعية والإلهية من كتبه (النجاة) (الشفاء في الحكمة)وله آراء فلسفية. ولد سنة ٣٧٠هجرية

obeikandl.com